مجلة المرابط

العدد : ١٨٢ الموافق في ربيع أول ١٤١٧ هجري ٨ / ١٩٩٦ ميلادي

عنوان المقال : أزمات المسلمين... ما أسبابها ؟	بقلم : صلاح الدين النكدلي

يذهب رواد الحركة الإسلامية المعاصرة إلى حصر أسباب الأزمات التي تعصف بالمسلمين في « الجهل » الذي زحف على الأمة رويداً رويداً... فأفقدها الوعي ، وبث في العقول والسلوك وشعب الحياة تخلفاً رهيباً كئيباً عبر عن وجوده الشامل بظاهرة « الغثائية » التي أذنت بتداعي الأمم من كل أفق على « الأمة القصعة » !!... فكانت ظاهرة « الاستعمار الأوروبي » الزاحف بجيوشه وثقافته... فزاد الطين بلة !!

ونتيجة لهذه الرؤية رفعت الجماعات الإسلامية شعارات تدعو إلى :

١-**إنهاض المسلمين...** بتجديد معاني الإسلام على المستوى الفردي والجماعي ، بما في ذلك مؤسسة الدولة.

٢-**التصدي للمحتلين...** الطامعين بالثروات... المصممين على إحداث خلل فكري وسلوكي وتشريعي ؛ يصيب المسلمين بالارتباك الشديد ، ويمنعهم من العودة إلى الذات.

وظهرت الدراسات والبحوث الرامية إلى تحليل الأزمة وأسبابها. فوجد الباحثون أنها ترجع إلى « الشهوات » و « الشبهات »

أولاً : **الشهوات :** بدأ الانحراف بالسلوك نتيجة لهجوم حب الدنيا وبسط سيطرته على القلوب شيئاً فشيئاً... وكان الانحراف في بدايته صغيراً لم يلتفت إلى تسلله إلا العالمون. روى البخاري أن أنس بن مالك قال لجيل التابعين : « **إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق من الشعر في أعينكم ، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات** » أي : المهلكات. وبمرور الأيام اتسعت دائرة الانحراف وبرزت ظاهرة التقصير في الواجبات وارتكاب المحرمات... فثار جدل عريض حول هل يدخل العمل في مسمى الإيمان أم لا ؟ وأسفر الجدل عن ولادة « الفكر التبريري » والذي تجلى في فكرة الإرجاء القاضية بفصل العمل عن مسمى الإيمان ، فكان هذا الفكر سلاحاً يسوغ به المنحرفون فسادهم. وتعددت الردود على الفكر التبريري ، ويهمنا هنا أن نشير إلى ردين :

الأول : شاذ مرفوض... يقول الدكتور عبد الله دراز رحمه الله : « والمعتزلة ، وسلفهم الخوارج ، أخذوا آيات الوعيد عامة ، فسووا بين معصية الشرك وما دونها. قال البخاري : وكان ابن

عمر يرى أن الخوارج شرار خلق الله ، ويقول : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين ».

الثاني : رد أهل السنة والجماعة الذي يعبر عنه قول الحسن البصري رحمه الله : « إن قوماً ألهتهم أمانيُّ المغفرة ، ورجاء الرحمة ، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة. يقول أحدهم : إني لحسنُ الظن بالله ، وأرجو رحمة الله. وكذب ؛ لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة. يوشك من دخل المفازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك ».

من هذه الإشارات نلمس كيف سببت الشهوات أزمة فكرية وسلوكية كانت من أقوى عوامل ضعف الذات ، وما زالت تفتك بالمسلمين إلى يومنا هذا. ونسجل هنا أن الحركة الإسلامية المعاصرة قد انتصرت لخيار السلف الصالح... القاضي بربط العلم بالعمل... وأنها تمكنت من تحريك الهمم باتجاه صبغ الحياة الفردية والأسرية والجماعية ، بما أوحى به الله عز وجل... وما يزال أمامها الكثير الكثير مما ينبغي صنعه في هذا المجال.

ثانياً : **الشبهات :** وأهم أسبابها الفتنة السياسية والفتنة الثقافية.

١- الفتنة السياسية : ونشير هنا إلى الفتنة التي انفجرت بقتل عثمان بن عفان ﷺ ، وظهور الفكر الخارجي والفكر الشيعي... وما أحدثاه من أزمات. ونُذكر بفتنة « الملك العضوض » وما أفرزته من طامات مهلكات في الفكر والسلوك وشعب الحياة المختلفة... على مدى قرون !!.

وفي العصر الحديث برزت ظاهرة « الحكم الجبري » في معظم دول التجزئة... فنتج عنها أزمات بسبب سلوكيات الحكام القائمة على الظلم والاستبداد ، وبما تبنوه من أفكار عملوا على فرضها بالقوة في حياة المسلمين... وقد فرضت ظاهرة الحكم الجبري على الأمة مواقف فكرية وعملية ، وخاصة داخل الحركة الإسلامية ، وفي صفوف القوى المؤثرة. ولا ريب في أن الحكام المستبدين يحملون المسؤولية الكبرى عن حالات الصراع ، وإراقة الدماء ، وتهديم البلاد ، ولا يعفى أصحاب ردود الفعل الموتورة من المسؤولية.

٣- **الفتنة الثقافية :** ونعني بالثقافة : المعارف الإنسانية لأمة من الأمم (العقيدة ، الأخلاق ، التشريعات...) التي تميزها عن غيرها. وتختلف عن « العلم » في كون العلم يهتم بالجوانب الخارجية للكائن البشري.

بعد هذا التقديم نقول : لقد احتكت أمتنا في مراحل ضعفها بثقافات فتنت العقول ، وأحدثت شروخاً في التصورات والقيم ، وقادت إلى مواجهات امتزجت في كثير من الأحايين برائحة الدماء !!. ونشير في هذا المقام إلى فتنة الفلسفة الإغريقية وآثارها في الفكر ، وخاصة الجانب العقدي ، وما أحدثته من جدل عقيم واضطهادات رهيبة. ونقف قليلاً عند فتنة الثقافة الغربية التي نعايشها. وغني عن البيان أن الحضارة الغربية قد أحدثت زلزالاً ثقافياً في المسلمين ، وأنها بهرت بتجلياتها المادية والفكرية عامة أبناء أمتنا الذين يفتقرون إلى القدرة على التمييز وتحديد الموقف الكريم.

ونذكر في كلمات بعضاً من تجليات الحضارة الغربية المسببة لأزمات حادة عند المسلمين :

١- التجليات المادية... حُسم الأمر بالأخذ بها ورفض التفسيرات الثقافية التي تلحق بالحقيقة العلمية.

٢- تجليات النظم والمؤسسات... ما يزال الأخذ والرد حولها قائماً... وبما أن المسلمين قد توقفوا منذ قرون عن الاجتهاد في مجال النظم وغيرها ، فإنهم لم يجدوا بداً من الاقتباس من النظم الغربية... مثل النظام السياسي.

٣- تجليات المعارف الإنسانية... كعلم النفس والاجتماع... فهذه ما تزال كفة الرفض عند الإسلاميين هي الغالبة.

هذه التجليات وغيرها تحرج المسلمين في ضعفهم الحالي ، وتفرض عليهم تحديد مواقف منها ، والخلاف الذي تحدثه في صفوف الحركة الإسلامية أمارة على الأزمات المستحكمة بسبب الاحتكاك بثقافة الغرب.

وبعد : فإن حركة التجديد الإسلامي مدعوة إلى بذل الجهد البصير النامي باستمرار ، من أجل تصفية وتنقية مصادر المعرفة الإسلامية ، وهي في أمس الحاجة إلى فهم عميق لأسباب الأزمات وتجلياتها ، حتى تتمكن من تحديد موقف رباني بعيداً عن الغلو وعن الانفلات ، وبهذا يتحقق لهم تجديد صحيح كريم.